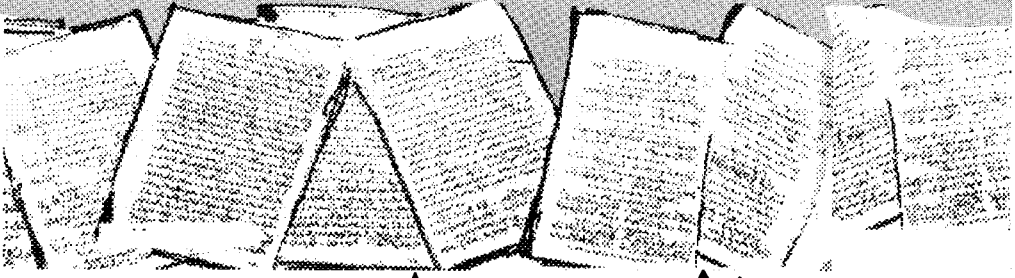


# الكتاب بين الرعية



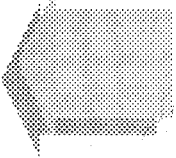


# سفرية والتوسفة التاريخية

بقلم : الدكتور رأفت عبد الحميد محمد

"قال الراوي . . يا سادة يا كرام !!".

عبارة تبتدئ بها كل سيرة وصلت إلى أيدينا من السير الشعبية المعروفة، "سيرة عنقرة بن شداد" و "سيرة الملك سيف بن ذي يزن ملك اليمن"، و "سيرة حمزة العرب الأمير حمزة البهلوان"، و "السيرة الهلالية"، أو قصة "الزير سالم أبو ليلى المهلهل"، و "تغريبة بني هلال"، و سيرة الأميرة ذات الهمة"، و "سيرة الظاهر بيبرس"، وغير ذلك، على حين تستفتح شهرزاد كل ليلة من لياليها عند حكيها لحكاية جديدة أو استمرارها في واحدة كانت قد بدأتها بالفعل من قبل، بقولها الشهير "بلغني أيها الملك السعيد" وكلمة "بلغني" هي شكل آخر من أشكال "قال الراوي". فالدلالة واحدة .



وقد ينص أحياناً في بداية السيرة على اسم واحد من هؤلاء الرواة، قد يكون آخرهم، وقد لا يأتي ذكر لأحد منهم على الإطلاق، ففي "سيرة الملك سيف ملك اليمن"، نجد مثلاً لذلك حين يقال : "قال الراوي أبو المعالي راوي سيرة أبي الأمصار وسائق النيل من أرض الحبشة إلى هذه الديار"<sup>(١)</sup>، مع العلم أن "أبا المعالي" لقب للراوي وليس اسماً لعلم . بينما يأتي الاسم منسباً في "سيرة الظاهر بيبرس" عندما نصادف في أولها عبارة "قال الراوي وهو الديناري رحمه الله تعالى"<sup>(٢)</sup> . على حين تنفرد "سيرة الأميرة ذات الهمة" بإيراد أسماء عشرة من الرواة تقدمهم على النحو : "... . وإن من روى هذه السيرة العجيبة، وما فيها من الأحاديث المطرفة الغريبة، هو علي بن موسى المقانبي، وابن بكر المازني، وصالح الجعفري، ويزيد بن عنار المزني، وعبد الله بن وهب اليماني، وعوف بن فهد الفرازي، وسعد بن مالك التميمي، وأحمد الشمشاطي، وصابر المرعشي، ونجد بن هشام العامري، قالوا جميعاً والله أعلم"<sup>(٣)</sup> .

وتفصح هذه السير، أو إن شئت الدقة فقل هذه الروايات الشفوية

المتواترة في مجموعها، عن الهدف الأساسي من وضعها، وهي كلها تتفق عليه وإن اختلفت عباراتها، مثل "... . وهذه قصة غريبة الوجود، والمستعان بالله تعالى الواحد المعبود، الذي جعل سير الأولين عبرة للقوم الآخرين، وأخبار الأمم الماضين [ هكذا ] اعتباراً للباقيين"<sup>(٤)</sup>، أو "... . إن سير الأولين صارت عبرة للآخرين لكي يرى الإنسان العبر التي حصلت لغيره فيعتبر، ويطالع حديث الأمم السالفة وما جرى لهم فينجزر [ هكذا ]، فسبحان من جعل حديث الأولين عبرة لقوم آخرين ."<sup>(٥)</sup>، أو "... . إن الله سبحانه وتعالى جعل سير الأولين عبرة للآخرين، وموعظة للجاهليين، وتنبيهاً للغافلين، يتعظم بها أصحاب العقول الكاملين"<sup>(٦)</sup> .

ولا أظن أن هذا الهدف الذي تسعى إليه الرواية الشفهية التي تصبح بمقتضى التقادم موروثاً شعبياً، يبعد كثيراً عن الهدف الذي تضعه الدراسات التاريخية نصب أعينها، وإن اختلفت الفكر والمضامين والمصادر، ولننظر مثلاً إلى ذلك العمل التاريخي الرائع الذي وضعه المؤرخ الأشهر تقي الدين المقرئ تحت عنوان "المواعظ والاعتبار

بذكر الخطط والآثار"، وهي دراسة إطارها المحيط هو التاريخ، ولكنها في جوهرها تضم عدداً من ميادين الدراسات الإنسانية المختلفة، كالجغرافيا والاجتماع والاقتصاد والعمارة والفنون والآداب والتخطيط، أو بعبارة أخرى ننقلها عن أستاذنا محمد عبد الله عنان<sup>(٧)</sup> متمثلة في قوله: "... فهذا الأثر فوق كونه عرضاً مستفيضاً لجغرافية مصر والقاهرة والنيل القديمة، وسيرها منذ الفتح الإسلامي هو مجمع فريد من صور العمرانية والاجتماعية والفنية في العصور الوسطى، ومعرض بديع لتاريخ مصر الاجتماعي، وأحوال المجتمع المصري، وظواهره النفسية والأخلاقية، وحياته العامة... وهذا التراث العمراني والفني الخالد، تراث المدينة الإسلامية في مصر، يعرضه لنا المقريزي في صور قوية باهرة ممتعة، وهو يتتبع فيما يكتب شجون الحديث، فإذا ملك أو أمير كبير يقترن اسمه بذكر هذه الصروح والآثار الخالدة أو تلك، وإذا حدث أو واقعة أو نادرة ترتبط بسيرتها، فإنه يستقصي كل ما يتعلق به أو بها من الأخبار، فينتقل بقارئه من المسجد والقصر إلى الأمير، ومن الأمير إلى الحرب، ومن هذه إلى المآدب

والرياض، وهو خلال ذلك كله يعنى بعرض صور هامة من تاريخ مصر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري، ويقدم إلينا المجتمع القاهري في أثوابه المختلفة زاهية وقاتمة، ويعنى بشرح النظم السياسية والإدارية والاقتصادية التي توالى على مصر، ورسوم البلاط القاهري في عصوره المختلفة، وأحوال الخلفاء والسلاطين في الحياة العامة والخاصة، ومواكبهم ومآدبهم وأخلاقهم وأطوارهم، وأحوال المنشآت العامة كالكنائس والسجون والمعاهد والمدارس والمساجد والزوايا والتكايا وغيرها، وحياة الشعب الخاصة، وعادات الأفراد وتقاليدهم وأحوالهم في المعاملات والملبس والمأكول والأفراح والأتراح والجد والهزل".

هذه المساحة المعرفية الواسعة المتعددة الجوانب، عنوانها المقريزي بـ "المواعظ والاعتبار"، ومن ثم فليس هناك اختلاف في الهدف - كما أشرنا منذ قليل - بين الدراسات التاريخية الوثائقية والروايات الشفهية أو الموروث الشعبي، والمقريزي نفسه يعبر عن ذلك بقلمه الخاص حين يقول: "علم التاريخ من أجل العلوم قدراً وأشرفها عند العقلاء



مكانة وخطراً، لما يحويه من المواعظ، والإنذار بالرحيل إلى الآخرة عن هذا الدار، والاطلاع على مكارم الأخلاق ليقنّدي بها، واستعلام مدام الفعال ليرغب عنها أولو النهى . لا جرم إن كانت الأنفس الفاضلة به رامقة، والهمم العالية إليه مائلة وله عاشقة<sup>(٨)</sup> . وهذه العبارات التي أوردها المقريزي لا تبتعد عما أورده السير الشعبية التي تعد النموذج الحي المتجسد للرواية الشفهية، عن الهدف المبتغى من وراء سردها أو قصها على مسامع العامة .

غير أن هذا لا ينحو بنا بعيداً عن الجانب الوثائقي في الدراسات التاريخية، وهو عصبها، فكما أسلفنا من القول إن "الراوي" يبتدئ روايته بالقول عمن أخذ : "قال الراوي"، فإن المؤرخ يدعم دراسته وتاريخه بقوله "تحدثنا الوثيقة" أو "تخبرنا المصادر"، والباحث المدقق يفتتح مطالعته لأي كتاب في التاريخ، بالصفحات الأخيرة من الكتاب، بحثاً عن المصادر والوثائق التاريخية التي اعتمد عليها المؤلف في كتابه، وتحدد القيمة العلمية تبعاً لمدى أصالة تلك الوثائق والمصادر . ومن البدهي أن أي باحث أو مؤرخ لا يمكن

مطلقاً أن يقف فوق جسر الصدق ما لم تكن الوثيقة مصدر بحثه وركيزة دراسته، شريطة أن تكون الوثيقة نفسها صادقة لم تمسها يد التزييف، وتلك قضية أخرى !

وقد وقف مؤرخنا الأشهر "ابن خلدون" على هذه الناحية وحدثنا عنها بكل الدقة عندما كتب في "مقدمته" يقول : "... والتاريخ في باطنه نظر وتحقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأمم وجمعوها، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها. وخطها المتطفلون بدسائس في الباطل وهموا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها"<sup>(٩)</sup> .

وابن خلدون هنا كما هو ظاهر في عبارته، يفصل بين المؤرخ بكل ما تعنيه الكلمة في منزلة القضاء، وكاتب التاريخ المتطفل على كتابته بكل ما تفصله كلماته من بعد عن الانتقاء !!

ولنكمل حديث ابن خلدون لنرى إلى أي حد يعد البعد عن الوثيقة في الدراسة التاريخية ضرباً من العبث، والعبث نفسه في عدم تمحيص كل ما

يكتب، والتغاضي عن الدقة في كل ما يقال ويدون، وتلك آفة نفر ليس بالقليل ممن يتصدون لكتابة التاريخ، فإنه يمكننا القول قياساً على شهادة العلامة ابن خلدون، "كثيرون يكتبون التاريخ، وقليل منهم المؤرخون"، فالمؤرخ بالدرجة الأولى قاضٍ وليس قاصاً ولا مجرد ناقل. يقول العلامة مكملاً حديثه الذي توقفنا عنده منذ قليل: "... . واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها، وأدوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح في الغالب قليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض طويل، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل، والحق لا يقاوم سلطانه، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه، والناقل إنما هو يملي وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمثل، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقل"<sup>(١)</sup>.

واضح تماماً أن ابن خلدون يقف موقفاً جاداً من أولئك الذين يكتبون التاريخ بأيديهم ثم يقولون إنما قال بهذا

الأسلاف، ونحن على آثارهم مقتدون، دون تمحيص وتدقيق، ومناقشة ومقارنة وتحليل، ونقد بعد كل ذلك عميق وأصيل. هؤلاء النفر لا يعدون من المؤرخين وإن حسبوا أنفسهم كذلك وإن عدهم أناس هكذا!

والذي يلفت النظر ويدل على فراسة العرب وسبقهم في العديد من ميادين المعرفة الإنسانية، أن ابن خلدون فصل في صدر مقدمته بين الرواية والتاريخ، أو بتعبير أكثر دقة بين التاريخ المروي أو الرواية الشفهية والتاريخ الوثائقي، وميدان هذا وذاك، وما يحتاجه عامة الناس والجمهور، وما يسعى إليه خاصة الدارسين وأعيانهم، وهذا بيت القصيد في بحثنا هذا، يقول: "... فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرحال، وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقوال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيه الأقوال، وتضرب فيه الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي لنا شأن الخليفة كيف

الجوهري . . أين موضع الرواية الشفهية  
من الكتابة التاريخية ؟

لا يستطيع أحد أن ينكر أن التاريخ  
كان في أصل نشأته روايات شفهية  
جرت بها ألسنة الناس، أو تناقلها  
الرواة جيلاً بعد جيل، وتمثلت عند  
العرب في أشعارهم، حتى عُدَّ الشعر  
ديوان العرب، فسجلوا بالقريض  
أفراحهم وأتراحهم، ومجالس سمرهم،  
وحلهم وترحالهم، وأيامهم في الجاهلية  
والإسلام، وساعدت ملكة الحفظ لديهم  
في نقل هذا التاريخ والاحتفاظ به لفترة  
زمنية طويلة . والعرب هنا لم يبتعدوا  
عن الأصل التاريخي لكلمة (Istoria)  
اليونانية، والتي كان يقصد منها في بلد  
الإغريق قديماً البحث عن الأشياء  
الجديرة بالمعرفة، وهي معرفة البلاد  
والعادات والمؤسسات السياسية المعاصرة  
أو الماضية، ثم تطورت الكلمة لتضم إلى  
ذلك معرفة الأحداث التي رافقت نمو  
هذه الظواهر<sup>(١٧)</sup> .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن  
هذه المفاهيم لم تكن واردة في أول  
الأمر، بالمعنى الذي نقصده، لدى هؤلاء  
الشعراء العرب الذين تركوا شعرهم  
ودونوا فيه تلك الأحداث التي عايشوها

تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها  
النطاق والمجال، وعَمَرُوا الأرض حتى  
نادى بهم الارتحال، وحان منهم  
الزوال . وفي باطنه . . . "١١" .

وهذه العبارات الأخيرة تنصرف  
دون مناقشة إلى الرواية الشفهية أو  
التاريخ المروي، الذي "تنمو فيه  
الأقوال" بزيادة الروايات جيلاً بعد  
جيل، يضيف إليها راو بعد راو،  
ومحدث بعد آخر، ويتفنن كل منهم في  
إضافة قصة على هامش الرواية، أو طرفة  
لطيفة، أو مثل جرت به الألسنة مع  
الزمان، ويضيف إليها من عندياته ما  
يشوق السامعين، وتلك براعة الراوي في  
فن الإلقاء، وهذا ما يشير إليه ابن  
خلدون بقوله : "وتطرف بها الأندية إذا  
غصها الاحتفال"، حيث يتحلق الناس  
حول هذا الراوي أو ذاك في إصغاء  
عجيب .

وإذا كنا قد فصلنا بحزم بين من  
يكتبون التاريخ والمؤرخين، وأكدنا على  
أن المؤرخ هو الذي يضع الوثيقة نصب  
عينيه، مخضعاً إياها للتحليل والمناقشة  
والمقارنة والتمحيص والنقد، فإن هذا  
يدفعنا مباشرة إلى إثارة هذا السؤال

وحول هذا يقول الأستاذ أحمد أمين<sup>(١٤)</sup> " . . . لو تتبعنا في ابن جرير الطبري سلسلة رواياته وجدت أن الرواة الثلاثة أو الأربعة الذين يتصلون به وبحياته كانوا في العصر العباسي، وهؤلاء يروون عن قبلهم ممن كانوا في عهد الأمويين أو الخلفاء الراشدين، نعني بذلك أن الحوادث التي دونت كانت معروفة في العصر الذي يؤرخ له، وابن اسحق وأمثاله إنما دونوا ما كان معروفاً وجمعه".

من هنا كان أول ما دون في التاريخ الإسلامي - بطبيعة الحال - يعتمد على الذاكرة الإنسانية، أو بتعبير آخر، الرواية الشفهية، ولعل من يقرأ ما دون من الذاكرة يتجلى له أن أغلب التاريخ العربي الإسلامي الأول مستمد من السمع والمشاهدة، ومن ثم جاء تدوين المؤرخين الأوائل لما استوعبته الذاكرة بالنقل من فلان عن فلان من الحفاظ الموثوق بهم، وهو ما عرف بـ "الإسناد" بمعنى دفع الخبر إلى قائله، وهكذا كان الحُفَظ هم الوسطاء بين الخبر والمؤرخ<sup>(١٥)</sup>.

وهذه السلسلة الطويلة من "العنونة" التي نشهدها مثلاً عند ابن هشام في السيرة النبوية، والواقدي في

أو حدثوا عنها فيما بعد تمجيداً وافتخاراً، "فأيام العرب"، ترجع في أصلها إلى الأدب أكثر مما ترجع إلى التاريخ، فقد كانت تروى بالدرجة الأولى لإيناس السامعين وإمتاعهم، حقاً لقد كانت تحتوي على عناصر تاريخية من حيث أنها سجلت أحداثاً كبرى [ كحرب البسوس، وداحس والغبراء، وغير ذلك ]، ومن حيث أنها اعتبرت مثل تلك الأحداث متصلة بنواحٍ معنوية معينة<sup>(١٦)</sup>، وقد لعبت فنون وأشكال هذه "الأيام" و "القصائد" التي خلقتها، دوراً هاماً في تشكيل علم التاريخ عند المسلمين.

فمن الأمور التي لا يتطرق إليها الشك أن التاريخ الإسلامي نشأ في أول أمره معتمداً اعتماداً كاملاً على الرواية الشفهية، حتى عرف المشتغلون به بادئ ذي بدء بالرواة أو الإخباريين، ولم يكن هناك آنذاك ما ينتقص من قدر هذه الرواية لأن ملكة الحفظ العربية كانت لها السيادة على الكتابة أو التدوين إبان العصور الجاهلية وصدر الإسلام. وإن نظرة سريعة إلى كتب السيرة النبوية والمغازي نجدها كلها تورد أخبارها يقول مؤلفها: حدثنا فلان عن فلان،



والرواية" والبعد عن "الغفلة وضعف النظر"<sup>(١٧)</sup>. ويشاركه في هذا الرأي "السخاوي"<sup>(١٨)</sup>.

وقد حرص كثير من الخلفاء المسلمين على أن يكون إلى جوارهم دوماً من "يقص" عليهم أو "يروي" لهم أخبار الأمم السالفة التي سبقت الدعوة الإسلامية، وشيئاً عن أحوال ملوكهم وساداتهم، حتى أن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، كان كما يحدث عنه المسعودي، "يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها، وسياستها لرعيتهما، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة . . . ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر من يواصل له الروايات الخاصة بسير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات".

نحن هنا إذن أمام كم هائل من الروايات الشفهية تناقلها حفاظ العرب أمة بعد أمة، شعراً كان أو نثراً، وإن كان الشعر هو الغالب لسهولة حفظه، وقد وجد المؤرخون المسلمون الأوائل أمامهم كل هذه الروايات الشفهية فجمعوها، وزاد الأمر كثرة دخول

المغازي، والطبري في تاريخ الرسل والملوك، تؤكد أمرين أساسيين على قدر كبير من الأهمية، أولهما : الدور الكبير الذي لعبته الرواية الشفهية في تدوين التاريخ الإسلامي خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة على الأقل، والثاني : دور الرواة أو الحُقَّاط في الحفاظ على هذه الروايات ونقلها جيلاً بعد جيل، مع محاولة التيقن الكامل من عدم انقطاع ثبت السند أو العنونة حتى لا تمسى الرواية ضعيفة الإسناد فلا يؤخذ بها .

لا غرو إذن أن ينشأ علم التاريخ عند المسلمين في أحضان علم الحديث، لأن هذه الطريقة عينها هي التي اتبعت في جمع الأحاديث النبوية، ولما كان تحري الدقة والأمانة حتماً مقضياً عند جمع هذه الأحاديث، فقد انسحب ذلك بالتالي على الروايات الشفهية التي تتصل بحياة الرسول وصحبه مكونة سيرته ومغازيه ﷺ. ولما كان المسلمون حريصين في الناحيتين على التزام جادة الصدق والضبط في جمع مادتي الحديث والسيرة، فقد أصبح منهج "الجرح والتعديل" ميزان الحقيقة في كل من هذه وتلك . وابن خلدون يشير إلى مثل هذه الناحية ويؤكد على ضرورة "البحث

مطلقاً الأهمية الكبيرة التي كانت عليها هذه الروايات الشفهية الذائعة والمنتشرة وفي الوقت نفسه المحفوظة شعراً بصفة خاصة أو نثراً، في كتابة التاريخ الإسلامي في أول الأمر . غير أن المسلمين لم يقفوا بتواريخهم عند هذه المرحلة، بل تجاوزوها بمراحل متعددة، ودخل التاريخ من بعد عندهم في مجال العلوم، بل اعتبروه - على حد قول السخاوي - من أحسن العلوم وأشهاها، ونذر السخاوي نفسه للدفاع عنه وذم من ذمه، وتبيان أهميته وأبعاده وأهدافه، في كتابه الذائع "الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ"، وأفرد له ابن خلدون الصفحات الطوال في مقدمته الرائعة .

وتشكل الرواية الشفهية الركيزة الأساسية في الموروث الشعبي الذي يحكي مسيرة الشعوب نفسها، وطموحاتها وآلامها، ونبض الحياة الاجتماعية بكل جوانبها، والحياة الاقتصادية من حيث ممارسة الناس لها وتعايشهم في كنفها، بعيداً عن سيرة الحاكم وسلطانه، ومن هذا المنطلق يلتف الموروث الشعبي حول جوهره، ويشكل الاثنان معاً - كما حدث في كثير من الأزمان وعند كثير من الشعوب،

الشعوب المختلفة ذات التواريخ في الإسلام مثل الفرس وجماعات من الروم والمصريين ونفر من بني يهود، وهؤلاء جميعاً رووا تواريخهم، وحدثوا المسلمين بها وبتاريخ الأمم الأخرى، ويكفي نظرة واحدة إلى تاريخ الأمم والملوك للإمام الطبري، وقد قدمته هنا بلفظ "الإمام" لأن الرجل كان مفسراً ومؤرخاً، وهذا ما أسلفنا عنه الحديث منذ قليل عند القول بأن المؤرخين المسلمين الأوائل كانوا رواة ومحدثين أو مفسرين، نقول إن نظرة واحدة إلى تاريخ الطبري تكفي للوقوف على هذا الكم الهائل من الروايات الشفهية التي يوردها هؤلاء المؤرخون الأوائل بعد أن سمعوها وجمعوها، وهو حريص في الوقت ذاته على أن يرويها بسندها، فنراه يذكر مثلاً : "... حدثني ابن سعيد عن عبد الله بن سلام أنه قال" أو "حدثنا شعيب عن سيف عن الربيع وأبي المجالد وأبي عثمان وأبي حارثة، قالوا" وهكذا .

ورغم أن ابن خلدون يهاجم في مقدمته نفراً من المؤرخين الأوائل ويذكرهم بأسمائهم، لاعتمادهم على مجرد النقل لما سمعوا أو رأوا وتدوينهم لذلك دون تمحيص، إلا أن هذا لا يلغي

الأسطورة وهي التي خرج من رحمها التاريخ منذ البداية . وفي العصور الوسطى بصفة خاصة في الشرق الإسلامي أو الغرب المسيحي على السواء، يجد المؤرخ نفسه مدفوعاً إلى الاعتماد أحياناً على بعض هذه الروايات أو الموروث الشعبي أو الأسطورة، ليكمل بأي منها ما نقص في المصادر أو الوثيقة التاريخية . ومن ثم فليس غريباً القول إن الرواية الشفهية تعد ضرورية أحياناً لتفسير ما غمض أو صعب فهمه في بعض جوانب الوثيقة التاريخية .

والموروثات الشعبية تحمل رؤية الشعب لتاريخه وتفسيره لمسيرته الحضارية، كما تشي بكل ما كان يحركه من قيم أو مثل عليا والنظام الأخلاقي الذي حكم في الزمان والمكان .

والموروثات الشعبية تتضمن الأسطورة، والسيرة الشعبية والحكايات والألغاز والأمثال والأغاني والنكات، وغيرها مما يعبر به الناس عن أنفسهم بشكل تلقائي .

ولعل الفرق الجوهرى بين التسجيل الرسمى للتاريخ والتسجيل الشعبى هو أن الأول قصد به أن يكون تاريخاً، أي أنه

مقصود أن يصل للأجيال التالية على النحو الذي تمت به كتابته، أما التسجيل الشعبى فهو تسجيل شفاهى تراثى تتناقله الأجيال وتزيد عليه، وتعديل في مضمونه بما يخدم أهداف الجماعة الإنسانية، دون أن يقصد به أن يكون تاريخاً يقرأه الناس في الأجيال التالية، ذلك أن الموروثات الشعبية تعبير تلقائى عن الناس في حياتهم اليومية، وعن رأيهم في أحداث تاريخهم ورؤيتهم له، وإذا كنا نستطيع من خلال المصادر التاريخية التقليدية، أن نستعيد صورة الحدث التاريخى من ذمة الماضى، فإن هذه الصورة تظل باهتة لا حياة فيها ما لم نفهم أهل العصر الذى ندرسه من خلال عاطفتهم ووجدانهم وقيمهم الأخلاقية، ومثلهم العليا التى حركتهم آنذاك، والموروثات الشعبية مصدر هام للمؤرخ الذى يدرس التاريخ الاجتماعى، أو النتاج الثقافى لأمة من الأمم<sup>(١٨)</sup> .

ولعل أروع تعبير يمكن أن يؤتى به الآن، هو ما جرى على لسان "جورج ماكولي تريفيليان - G.M. Trivilian" عندما قال : "لا تتألف روح الشعر في تدوين التاريخ من خيال يطوف في

وتتلقى به، إلى آفاق أخرى تؤملها أكثر  
إشراقاً وسعادة .

وكان نظم الشعر كما يقول  
"جوردون شايلد" - من العوامل  
المساعدة في تذكر الأحداث حين كانت  
الكتابة غير مستعملة، وكان ذلك من  
الأسباب التي أدت إلى ظهور ملاحم  
البطولة والقصص الشعبية، ونمت تلك  
التقاليد الشعرية لازدياد تواتر الرواية  
المنقولة عنها، وكانت المبالغة مستحبة  
في الإشادة بالمفاخر والأمجاد لإثارة  
حواس المستمع وانتباهه، وهكذا دخلت  
في المؤرخات الأولى عناصر الملحمة  
والقصة الشعبية، ومن الأمثلة الشائعة  
على ذلك ما جاء في التوراة مثل سفر  
القضاة مثلاً<sup>(٢٠)</sup> .

وأجدني هنا ملزماً بأن أترك القلم  
لـ "إيمري نف Emery Neff"<sup>(٢١)</sup> . ليلقي  
الضوء على ما قد مناه توأً فيقول : "إن  
الروايات المختلفة الكثيرة في نص  
الإلياذة والأوديسة التي جاءت في  
الشروح الهامشية القديمة، على مخطوط  
بالبنديقية نشره العالم الفرنسي فلوزان  
سنة ١٧٨٨، واقتباسات قدامى المؤلفين  
من شعر هوميروس ومنهم أفلاطون  
وأرسطو وفرجيل، وهي اقتباسات لم ترد

الغضاء، ولكنها تتألف من خيال يقتفي  
أثر الحقيقة ويلتصق بها، وبالنظر إلى  
أن الحقيقة قد وقعت فعلاً فإنها تجمع  
حولها سر الحياة والموت والزمن الذي  
لا يسبر غوره، فعلم المؤرخ وبحثه  
يجدان الحقيقة، وخياله وفنه يوضحان  
مدلولها"<sup>(٢٢)</sup> .

ويصل الائتلاف بين الرواية  
الشفهية والموروث الشعبي ذروته  
ويضحيان شيئاً واحداً في السير أو  
الملاحم الشعبية التي أشرنا إليها في  
صدر بحثنا هذا، وهي خاصة بالتراث  
العربي، ويقابلها في أوروبا أيضاً الكثير  
مثلها ويسبقها بعضها أحياناً، فالموروث  
الشعبي يجد ضالته في شخصية محورية  
تاريخية حقيقية فعلاً، لعبت دوراً معيناً  
في مسيرة التاريخ الإنساني، وتنسج  
حوله خيوط روايات تكون "ملحمة"  
شعبية، ولا يخفى على أحد أن المشاعر  
الشعبية تبحث عن شخصية البطل الذي  
ترتجيه في حاضرها ولا تجده ماثلاً بين  
ظهرانيتها، فتستدعيه من ذاكرة التاريخ  
الرسمي، وتصنع منه البطل الذي تتطلع  
إليه ليخرج بها بقوته الخارقة وذكائه  
المتقد وحيله البارعة وشخصيته  
الجاذبة، من هذا الواقع الذي تحياه،



في مخطوطاتنا، أقنعت "وولف" Wolf (الذي كتب تقديماً لدراسة أعمال هوميروس عام ١٧٩٥) بأن فن الكتابة لم يكن معروفاً عند الإغريق في عصر هوميروس، وأعتقد "وولف" أن هوميروس جمع معظم الملحمتين شفويّاً معتمداً على القصص الأسطوري القومي، إلا أن المنشدين قد أضافوا إلى جمعه وغيروا فيه طيلة أربعة قرون تقريباً، ونقلوه بطريق الحفظ حتى دون كتابة في أثينا في منتصف القرن السادس قبل الميلاد . بل إن النص قد تناوله بعد ذلك النحويون والناشرون بالتعديل، وهذا يؤكد الحقيقة الدائخة القائلة بأن الشعب الإغريقي كان حقيقة لا مجازاً هو الشاعر العظيم هوميروس !! وقد أكد المؤرخون في جملتهم أن الملاحم الهوميرية ألقت وانتقلت بطريق الرواية الشفوية، بل إن قوة الذاكرة الخارقة عند الشعوب الأمية الحديثة، أثبتت إمكان هذا النقل الشفوي واحتماله، حتى ليقال إن الشيوخ في جزر "هيريديس" يحفظون من الشعر الغالي ما يفوق الإلياذة طويلاً، وبالرغم من أن العلماء قد عجزوا حتى الآن عن الاتفاق على ما إذا كان للقصائد الهوميرية مؤلف واحد أو أكثر، فإنه أصبح من الواضح أن القصائد المنسوبة

إلى هوميروس أشبه بالملاحم الشعبية إلى حد كبير منها بالإنشاد المقصود الذي يقوم به شاعر واحد، كما هو الشأن في "إينيادة" فرجيليوس . وينقل "إيمري نف" عن "نيبور Neibuhr" قوله : "من المشكلات التي قد تستعصي على الحل إنشاء ملحمة شعرية لا تعتمد على موضوع عاش قروناً في الأغاني والقصص الشعبية باعتباره ملكاً شائعاً للأمة" (٢٢) .

ويأخذنا "هرنشو Hearnshaw" (٢٣) مع بحثه الرائع ليؤكد لنا هذا المعنى بقوله : "إن التاريخ من حيث هو سجل العصور الغابرة وديوانها الحافظ لأخبارها، قديم قدم اهتداء الإنسان إلى صناعة الكتابة، بل لقد كان الناس قبل ذلك العهد البعيد يتذكرون قصة الأزمنة القديمة، ويتناقلونها أبناء عن أب على شكل روايات شفوية، وكان الغرض الذي من أجله تنحدر تلك القصة من جيل إلى جيل رواية شفوية، هو من غير شك نفس الغرض الذي نروي من أجله اليوم التاريخ ونكتبه" وهذا ما أشرنا إليه من قبل في صدر هذا البحث .

وتتسم الروايات الشفهية التي تكون الموروث الشعبي بالتلقائية والبساطة من ناحية، كما أنها تدور حول أمور تتعلق

بثقافة المجتمع وتقاليده وعاداته وأخلاقه من ناحية أخرى، ويتم ذلك كله بأسلوب مثقل بالخيال والرموز الشعبية التي تخدم الأغراض والغايات الاجتماعية الثقافية للمجتمع، والموروث الشعبي يحمل أفكاراً ثابتة حقاً تمثل المنحى الثقافي للجماعة .

بيد أنه يحمل أيضاً تفسيرات تتجدد مع كل حقبة زمنية لهذه الأفكار الثابتة، ومن ثم فإنه يمكن أن نصف الموروث الشعبي بأنه نوع من "القراءة الشعبية للتاريخ" وهو ما يعني أن الموروث الشعبي يعكس رؤية الجماعة لتاريخها بغض النظر عن التفاصيل التي تتعلق بالزمان أو المكان أو الأفراد في القصة التاريخية<sup>(٢٤)</sup> .

ويذهب الألماني "فريدريش فون لاين Friedrich" أستاذ الأدب الشعبي مع "والتر أندرسون Walter Anderson" إلى أن الرواية المكتوبة بحق تمثل دوراً له قيمته، إلا أن الرواية الشفهية لها نفس الدور من الأهمية، فالقاص أو الراوي لم يستمع إلى الحكاية مرة واحدة فحسب، كما لم يستمع إليها من راو واحد، وإنما استمع إليها عدة مرات ومن رواة كثيرين، وكل شكل من هذه

الأشكال يتعرض للزيادة أو النقصان، إلا أنها مع ذلك - أي هذه الروايات المختلفة - تتأرجح إلى درجة كبيرة حول نقطة ارتكاز لا تتغير في ذاتها، وتظل هكذا أحقاباً طويلة<sup>(٢٥)</sup> .

ولما كانت هذه الروايات في صورتها الأولى مجرد خبر أو مجموعة من الأخبار التي تتصل بتجارب روحية ونفسية عاشها الناس منذ القدم، فقد حرص الناس على الاحتفاظ بها ونقلها عبر الأجيال عن طريق الرواية الشفوية، وليس في وسع كل شخص أن يقوم بعملية الرواية، وإنما هو الشخص الذي يجمع بين موهبة الحفظ ومتعة الرواية في آن واحد، أي أنه الشخص الذي يمتلك طاقة فنية تعادل تلك الطاقة التي يمتلكها كاتب القصة على سبيل المثال، بل في خلق أي نوع أدبي آخر، وليس هذا معناه أن القاص أو الراوي حر في تأليف الرواية وفقاً لأهوائه، وإنما هو مقيد بقوانين شكلية وموضوعية خضعت لها الرواية الشعبية الشفوية منذ القدم ولا تزال تخضع لها حتى اليوم<sup>(٢٦)</sup> .

من هنا ندرك أن الرواية الشفوية، من حيث هي نبض المجتمع بطبقته العريضة أولاً، وفئاته المختلفة ثانياً،

لها أهميتها البعيدة في كتابة التاريخ الاجتماعي لشعب من الشعوب بصورة صادقة، ولا يمكن لأي باحث في التاريخ الاجتماعي، وما يتصل به من نواح اقتصادية وسياسية، أن يقدم بحثاً أصيلاً في ميدان هذه الدراسات، دون أن يضع ضمن مصادره الأصلية، إلى جوار الوثيقة التاريخية، بل وفي مكانة لا تقل عنها أهمية، الروايات الشفوية التي تسود المجتمع الذي يدرسه، بل إن الرواية الشفوية وما تقدمه من موروث شعبي تسد كثيراً من الفراغ الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تملأه الوثيقة التاريخية التي غالباً ما تكون لها الصفة الرسمية .

وإذا كنت قد أفضت في الحديث - على النحو الذي أسلفنا - عن الرواية الشفوية وعلاقتها بالدراسات التاريخية، فإنما يعود ذلك إلى أن بعض المؤرخين قد يحجمون عن الاعتماد على هذه الروايات، معتبرين إياها لا ترقى إلى منزلة الوثيقة التاريخية، ومن ثم قصدت إلى هذه الإطالة للتأكيد على أن الدراسات التاريخية لا بد أن تأخذ الجانبين، أو إن شئت قل، المصدرين، في حساباتها، حتى تخرج الدراسات

التاريخية من إطارها الرسمي الضيق إلى ساحة أرحب هي المجتمع نفسه .

وهذه النقطة تنقلنا تلقائياً إلى الجانب الثاني وهو "الوثيقة التاريخية" وقد أسلفنا القول أننا نقيس قيمة البحث التاريخي بمدى اعتماد صاحبه على المصادر الأصلية أو الوثيقة التاريخية، دون أن يغمط ذلك حق "الرواية الشفوية" إذا كانت الضرورة التاريخية تستدعي الرجوع إليها في أمر بعينه لم تتضمنه الوثيقة، ولا غنى عنه في تفسير واقعة معينة .

ويعود هذا بنا إلى حديث ابن خلدون في مقدمته حين يتحدث عن التاريخ بقوله "وفي باطنه - أي التاريخ - نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق" ويقول في موضع آخر "وهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر

بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم، والحيد عن جادة الصدق" (٢٧).

وهذا القول يؤكد بصورة لا تقبل الشك أن ابن خلدون يدعو إلى التزام جادة الدقة في تحري صدق الواقعة، و"التثبت" من صحة الخبر، ولن يتأتى "التثبت" هذا إلا بصدق مصدره أو سلامة "الوثيقة" التي تتضمنه، ناهيك عن حتمية وجودها، ويعيب بشدة على أولئك الذين يعتمدون على مجرد "النقل" دون استخدام العقل في تناولهم للمادة التاريخية.

ويدعم هذا ما ذكره قبل ابن خلدون بقرون طويلة، وهو "سفيان الثوري" من إلام القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، عندما يقول "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ" (٢٨)، وهو يقصد بالرواة هنا الذين يدلسون الأخبار ويزيفون الحقيقة عن عمد لتحقيق مصالح معينة يبتغونها، وهذا يفسره قول "حسان بن زيد" "لم يُستعن على الكذابين بمثل التاريخ" (٢٩)، طالما كان طريقاً للاطلاع على التزوير في المكاتب (الوثائق) ونحوها (٣٠)، ويجعل السخاوي (٣١)، من هذه النقطة أول صفة

من الصفات الواجب توافرها في المؤرخ، فيقول: "... فالعدالة مع الضبط التام الناشئ عن مزيد من الإتقان، والتحري سيما فيما يراه في كلام كثير من جهلة المعتنين بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام".

والتركيز على "التثبت" و "الضبط التام" ينصرف بالذهن مباشرة إلى ضرورة الاعتماد على "الوثيقة" باعتبارها مصدراً أساسياً لمعالجة قضية تاريخية معينة، إذ كيف يمكن تصور دراسة العلاقات الخارجية بين دولة وأخرى دون الرجوع في المقام الأول إلى أرشيف وزارتي خارجية هاتين الدولتين وغيرهما ممن تجمعهم العلاقات الدولية في هذه الحادثة أو تلك، وكيف يعتد بدراسة عن الأخلاق مثلاً في مجتمع ما دون الرجوع إلى مجموعات القوانين الصادرة إبان تلك الفترة موضوع الدراسة، والمتعلقة بالنص على عقوبات معينة ضد جرائم بعينها أو قوانين السوق المتعلقة بالغش التجاري وما إلى ذلك، وقس على هذا العديد من الدراسات التي تدخل في ميدان التاريخ الاجتماعي والاقتصادي وبالأحرى التاريخ السياسي، مع التنبيه على شيء في غاية الأهمية وهو أن



دراسة النواحي الأخلاقية أو الاجتماعية بصفة خاصة، تقتضي الرواية إلى جوار الوثيقة بالضرورة.

ولعل ديوان الإنشاء الذي عرفته الدولة الإسلامية في عصورها المختلفة، يمثل إحساساً بأهمية الوثيقة التاريخية وحفظها، وليس أدل على ذلك من هذا الكم الهائل الذي حفظته لنا الموسوعات التاريخية والأدبية المختلفة من هذه الوثائق الإسلامية التي لا غنى عنها لأي باحث في التاريخ الإسلامي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وغيرها .

ولو عدنا إلى قول السخاوي عن "التثبت" و "الضبط التام" لنعلم كيف كان مؤرخنا حريصاً كل الحرص على تحري الدقة والاهتمام بعملية التوثيق، لوجدنا أن ما قاله ينطبق تماماً على كلمة "الوثيقة" في معناها اللغوي، فهي من مادة "وثق" والوثاقة الائتمان، وهي مصدر الشيء المحكم الوثيق، والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة<sup>(٣٧)</sup>، وقد امتد مفهوم الوثيقة الآن في اللغات

الأوروبية الحديثة ليضم كل المصادر التاريخية المكتوبة، ولن ندخل هنا في تفصيلات أنواعها واختلافها وتقسيماتها العديدة، فهذا مما لا يتسع المقام له<sup>(٣٨)</sup>، ولكن الذي يعيننا في هذا المجال هو أهمية الوثيقة في حد ذاتها ومدى صحتها .

والمرجع في ذلك المؤرخ نفسه، أو كما يقول "كولينجود R.G. Colling Wood" إن الوثيقة أصبحت تحمل طابعاً خاصاً، ربما صدقت عليه كلمة "مصدر تاريخي"، وتلك كلمة معناها أن الوثيقة التي تحتوي على ما قيل في هذا الموضوع أو ذلك، بمعزل عن أية فكرة توحى بقيمة هذه الوثيقة من الوجهة التاريخية، أي أن الوثيقة محل بحث Sub Judice، وأن المؤرخ هو الشخص الوحيد الذي يناط به الحكم على قيمتها<sup>(٣٩)</sup>، . . . فالمؤرخ هو الحجة والمرجع الأخير لنفسه، بمعنى أنه هو الذي يقرر ما يريد من أقوال، أو يصدر الأحكام التاريخية على مسؤوليته، وليس لأن هذه الأقوال أو هذه الأحكام قد قررها أو أصدرها مصدر آخر غيره<sup>(٤٠)</sup> .

والذي يذهب إليه "كولينجوود" هو التأكيد على ضرورة عدم التسليم مباشرة ودون أي تمحيص بصدق الوثيقة، ولكن لابد أن يتدخل المؤرخ فيها بالنقد والتحليل والمناقشة والمقارنة، وما إلى ذلك من أساليب البحث العلمي الجاد، حتى يمكن الحكم على قيمتها. وقدم لنا "هرنشو"<sup>(٣٦)</sup> دراسة طيبة عن المدارس التي امتلأت بها أوروبا مبتدئة من ألمانيا ممتدة إلى كل أنحاء أوروبا أو متزامنة في بعض الأحيان، والتي وضعت نصب عينيها "النقد والتحليل" لـ "الوثيقة" التاريخية وليس التسليم المطلق بها دون أية مناقشة كما كان يجري الحال من قبل لدى كثير من المؤرخين.

ومع اتساع مفهوم الوثيقة لتضم معطيات جديدة - كما أسلفنا القول - فإن المؤرخ لم يعد يبحث بالضرورة، وهو يسعى إلى معرفة "الوقائع"، عن الوقائع البديهية التي تظهر في هذه الوثيقة التاريخية التقليدية، إنما نراه يبحث عن روابط لا يمكن تتبعها وقياسها إلا بالتحليل والنقد، وتزيد مفاهيم العلم الاجتماعي وأساليبه من

نطاق التحقيق بواسطة الوثائق، وتمكن المؤرخ من أن يذهب إلى ما وراء "المعطيات الخام"، و "الشاهد" المباشر. وقد خطا المنهج التاريخي خطوات واسعة في تقرير صحة السجلات المدونة ومعناها الأصلي، وإن الطريقتين الأساسيتين - وهما تحليل الشاهد الداخلي والتحري عن الشاهد الخارجي، أو مقارنة الوثائق بغيرها، ودراسة القرينة الاجتماعية للوثيقة، من المآثر التي تأخذ مكانتها بين الأمور العلمية<sup>(٣٧)</sup>.

و "التثبت" من صدق الوثيقة على هذا النحو، وإخضاعها للنقد والتحليل، أو ما يعرف بالتاريخ النقدي، يقول الفيلسوف الألماني "هيجل" إنه هو الذي يستحق أن نسميه بـ "تاريخ التاريخ" لأنه نقد للروايات التاريخية ودراسة لحقيقتها ومعقوليتها، والصفة المميزة له من حيث هو كائن وما ينبغي أن يكون، تكمن في حدة الذهن التي يتمتع بها الكاتب والتي تمكنه من أن ينتزع من الوثائق أشياء ليست موجودة في المادة المدونة<sup>(٣٨)</sup>.

وبوضوح شديد يؤكد "إدوارد كار" هذه المعاني بقوله : "إن التقديس الأعمى للحقائق الذي ساد في القرن التاسع عشر، قد اكتمل ووجد مبرراً له في التقديس الأعمى للوثائق، لقد كانت الوثائق حقيقة إذن، ولكن ماذا تخبرنا الوثائق ؟ المراسيم والمعاهدات والكتب الزرقاء والمراسلات الرسمية والأوراق الخاصة واليوميات، إذا ما تفحصناها بدقة ؟ ما من وثيقة بوسعها أن تخبرنا أكثر مما أراد لها محررها، الشيء الذي اعتقد هو بأنه حدث، أو الذي اعتقد بوجود حدوثه، أو أنه سيحدث، وليس لهذه الأمور أية أهمية إلى أن يباشر المؤرخ تأثيره فيها وفك مغالقتها . إن الحقائق سواء وجدت في الوثائق أو لم توجد، فإنها لابد أن تخضع لصنع المؤرخ قبل أن تعم فائدتها، وأن الفائدة التي يستخلصها من الوثائق، هي عملية الصنع" (٣٩) . "التاريخ هو تجربة المؤرخ، إنه ليس من صنع أحد باستثناء المؤرخ، وكتابة التاريخ هي الطريقة الوحيدة لصنعه" (٤٠) . ويتحدث الدكتور عبد الرحمن بدوي (٤١) حديثاً طويلاً عن الوثيقة، وكيف أن التاريخ يصنع من

الوثائق، ويفرد الصفحات الطوال لبيان أهمية الوثائق وكيفية معالجتها وتناولها ودراستها وتمحيصها، وكيفية جمعها وفهرستها والإفادة منها .

من كل ما تقدم ندرك أهمية "الوثيقة" في الدراسات التاريخية، وإن كان استخراج ما فيها يعتمد على حاسة المؤرخ التاريخية، ومهما يكن من أمر فقد تبين لنا بعد هذه الدراسة أن التاريخ مع اعتماده الأساسي على المصادر التاريخية، أو الوثيقة بمضامينه المتعددة في عالم اليوم، إلا أنه في الوقت نفسه لا يمكن أن يغفل جانب الرواية الشفوية، والتي لابد أن تكون قد دونت من بعد بشكل أو بآخر، فهي تكمل للمؤرخ جوانب نادراً ما يمكن أن تتحدث عنه أو تتضمنه الوثيقة . ويقف "كوليجوود" بعض الشيء في كتابه "فكرة التاريخ" ليتحدث عن "المصادر المكتوبة" و "المصادر غير المكتوبة" ويتناول الفارق بينهما، وإن كان يقصد بالأخيرة المخلفات الأثرية التي تركها الإنسان، ويقول إنها كانت في الأصل قبل تحطيمها "مصادر مكتوبة" .

"الوثيقة" إذن بمعناها الواسع ، هي عصب الدراسة التاريخية ، إلا أنه من الصعب نزعها من واقعها الاجتماعي الذي وجدت فيه ، أو كتبت من خلاله ، والواقع الاجتماعي يمتد هنا ليشمل كل مناحي الحياة الإنسانية في المجتمع ، والوثيقة بمعناها الواسع الذي عرضنا له من قبل ، لابد أنها جزء من هذا الإطار

الاجتماعي الضخم بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، والرواية الشفهية التي غدت ماثورات شعبية بفعل الزمن تمثل خلفية الكتابة التي لابد أن يملأ فراغها المؤرخ .

أ. د. رافت عبد الحميد محمد  
أستاذ تاريخ العصور الوسطى  
وعميد كلية الآداب - جامعة عين شمس



# الهوامش

- ١ - سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن، بيروت ١٩٨٥، ج١ ص ٣ .
- ٢ - سيرة الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٩٦، المجلد الأول، ص ١١ .
- ٣ - سيرة الأميرة ذات الهمة ولدها عبد الوهاب، بيروت ١٩٨١، المجلد الأول ص ٥ .
- ٤ - سيرة فارس اليمن الملك سيف بن ذي يزن، بيروت ١٩٨٥، ج١ ص ٣ .
- ٥ - ألف ليلة وليلة، بيروت بدون تاريخ، ج١ ص ٥ .
- ٦ - سيرة الظاهر بيبرس، القاهرة ١٩٩٦، المجلد الأول ص ١٠ .
- ٧ - مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، القاهرة ١٩٣١، ص ٥٠ - ٥١ .
- ٨ - المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة بدون تاريخ، ج١ ص ٢٠ .
- ٩ - ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المقدمة، بيروت بدون تاريخ، ص ٤ .
- ١٠ - ابن خلدون، المقدمة، ص ٤ .
- ١١ - المصدر نفسه، ص ٣ - ٤ .
- ١٢ - روزنتال (ف) علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت ١٩٨٣، ص ١٦ .
- ١٣ - المرجع السابق، ص ٣٣ .
- ١٤ - فجر الإسلام، القاهرة ١٩٦١، ص ١٥٦ .
- ١٥ - عبد المنعم ماجد، الحضارة الإسلامية، القاهرة ١٩٦٣، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .
- ١٦ - ابن خلدون، المقدمة، ص ٣١ .
- ١٧ - السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق فرانز روزنتال، ترجمة صالح أحمد العلي، بيروت بدون تاريخ، ص ٩٢ - ٩٣ .
- ١٨ - قاسم عبده قاسم، بين التاريخ والفولكلور، القاهرة ١٩٩٣، ص ١٦ - ١٧ .
- ١٩ - إيمري نف، المؤرخون وروح الشعر، ترجمة توفيق إسكندر، بيروت بدون تاريخ، ص ٢ .
- ٢٠ - شايلد (ج)، التاريخ، ترجمة عدلي برسوم عبد الملك، القاهرة بدون تاريخ، ص ٥٢ - ٥٣ .
- ٢١ - المؤرخون وروح الشعر، ص ١٢١ - ١٢٢ .

- ٢٢ - إيمري نف، المؤرخون وروح الشعر، ص ١٢٢ .
- ٢٣ - هرنشو (ف)، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، القاهرة ١٩٤٤، ص ١٥ .
- ٢٤ - قاسم عبده قاسم، بين التاريخ والفولكلور، ص ٢٤ .
- ٢٥ - فريدرش فون دير لاين، الحكاية الخرافية، ترجمة نبيلة إبراهيم، القاهرة ١٩٦٥ ص ١٤١ .
- ٢٦ - المرجع السابق، التقديم، ص ٦ .
- ٢٧ - ابن خلدون، المقدمة، ص ٤، ١٠ .
- ٢٨ - السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص ٢١ - ٢٢ .
- ٢٩ - المصدر السابق، ص ٢٢ .
- ٣٠ - المصدر السابق، ص ٢٥ .
- ٣١ - الإعلان بالتوبيخ، ص ١١٤ .
- ٣٢ - ابن منظور، لسان العرب، ح ٤١ مادة "وثق" .
- ٣٣ - لمزيد من التفصيلات عن هذا الموضوع راجع، ليلى الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي، دمشق ٧٨ - ١٩٧٩، ص ١٥٤ - ١٦١، حيث تذكر الوثائق بمعناها العام الشامل في ثلاث مجموعات : أ - الوثائق المكتوبة والمطبوعة، ب - الوثائق الأخرى، ج - الرواية المباشرة أو المصدر الحي، ويدخل ضمن الأولى وثائق الأرشيفات الحكومية والمنظمات الاجتماعية والمدونات الإعلامية والتقارير السرية، ويندرج تحت الثانية المنشآت العامة كالقصور والمعابد والمساجد والكنائس والمقابر وغيرها .
- ٣٤ - كولينجود، فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل، القاهرة ١٩٦٨، ص ٤٤٦ .
- ٣٥ - المرجع السابق، ص ٤٧١ .
- ٣٦ - علم التاريخ، ص ٨٠ - ٨٦، حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، القاهرة ١٩٧٠، ص ٦٥ .
- ٣٧ - أتكين (ه.ج.) دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ترجمة محمود زايد، بيروت ١٩٦٣، ص ١٤٩، Marwick (A.) The Nature of History, London 1973, P. 132-138.
- ٣٨ - هيجل (ج.ف.) محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، القاهرة بدون تاريخ، ص ٦٩ .
- ٣٩ - إدوارد كار، ما هو التاريخ، ترجمة ماهر كيالي وبيار عقل، بيروت ١٩٧٦، ص ١٤ .
- ٤٠ - المرجع السابق، ص ٢٠ .
- ٤١ - النقد التاريخي، الكويت ١٩٧٧، ص ٥ - ٢٦ .